

الطبيب الأندلسي عبد الملك بن زهر من خلال كتابه

التيسير

الأستاذ : فاضل الباعلي

١ - عصر «ابن زهر» :



لم نعرف السنة التي ولد فيها الطبيب الأندلسي «أبو مروان عبد الملك بن زهر». وسواء أكان مولده سنة ٤٦٤هـ (١٠٧٢م) أو سنة ٤٨٧ (١٠٩٤). فإن الفترة التي سبقت مولده. وكذلك عقود السنين السبع أو التسع التي تمتع فيها بالحياة حتى سنة وفاته المؤكدة ٥٥٧هـ (١١٦٢م). ومثلها الفترة التي تلت. كانت كلها من أصعب ما مرّ بالأندلس. وأخطره وأدقه. فرقة وتوحداً. انكساراً وانتصاراً... وذلك إلى يوم آذنت شمس الإسلام بالغروب من سماء الأندلس العربية إلى الأبد!

بعد سقوط الخلافة الأموية في قرطبة سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م). تمزقت البلاد إلى دويلات متخاذة متنايدة. يحكم كلّا منها أمير ينازع الأمراء المخاورين ويطمع في ملكهم بقدر ما يعمل منافسون له. في الداخل. على انتزاع ملكه من بين يديه! ومهم من لم يتورّع عن الاستعانة بملوك الأسيان. الأعداء الألداء. على أبناء قومه وملته! إلى أن سقطت طليطلة العربية. عاصمة إحدى هذه الدويلات. وقد كان يملكها «بنو ذو النون». بيد «ألفونس» (ألفونس السادس ملك قشتالة). سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م).

في ذلك الحين كانت قد نهضت. في العدو المغربي. دولة جديدة فتية هي «دولة المرابطين». أسسها ورأسها زعيم «موهوب وقائد بارع هو يوسف بن تاشفين». فاندفع إليه

أهل الأندلس وعلماؤها ينشدون عونه على أعدائهم الطامعين أكثر من اندفاع حكّامهم إليه! وسرعان ما عبرت الجيوش المرابطية، المجاهدة، مضيق جبل طارق، ثم انقضت إليها الجيوش الأندلسية، لتخوض جميعاً، تحت راية واحدة، « معركة الزلاقة » سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦ م) التي تعدّ من أروع معارك العروة والإسلام. وقد كان من شأن هذا الانتصار العظيم أن وحد العدوتين، المغربية والأندلسية، في ظل زعامة الخليفة المرابطي ابن تاشفين (حكّمه من ٤٦٣ - ٥٠٠هـ)، الذي قضى على ملوك الطوائف جميعاً، وأصبحت الأندلس ولاية مغربية تخضع لحكومة مراكش. بعد أن كانت المغرب، قبل ذلك بنحو نصف قرن فقط، ولاية أندلسية تخضع لخلافة قرطبة الأموية.

خلف ابن تاشفين، بعد وفاته، ابنه « علي بن يوسف »، الذي اندلعت، في عهده الطويل، ثورة في قرطبة (سنة ٥١٥هـ). كما ظهرت في العدو المغربية، دعوة إسلامية أخذ ينادي بها « ابن تومرت ». استحل أمرها حتى تمكّن « عبد المؤمن بن علي » من تفويض أركان الدولة وأقام على أنقاضها دولة قوية أخرى هي « دولة الموحدين ». نشأت في المغرب وامتد سلطانها إلى الأندلس سنة ٥٤٢هـ. وكان عبد المؤمن، أيضاً، زعيماً موهوباً وقائداً بارعاً. وقد حقق واحداً من أبنائه، هو حفيذه، يعقوب المنصور، « نصراً مؤزراً على الأسبان في معركة شهيرة سميت « يوم الأرك » سنة ٥٩١هـ (١١٩٥ م).

ومما تجدر ملاحظته أنه بالرغم من اضطراب أحوال الأندلس في أيام دول الطوائف، واعتداءات الأسبان المتفافة، والثورات الداخلية والقتال والتغييرات السياسية، فإن الأندلس ظلت البيئة المواتية، لأن ينبع فيها كثير من الشعراء والعلماء والفلاسفة. في ظل دول الطوائف والمرابطين والموحدين، كان من أبرزهم ابن زيدون وابن عمار وابن قزمان (في الرجل الأندلسي) وابن باجة وابن البكري وابن حزم وابن حيّان وابن طفيل وابن رشد... وغيرهم كثير.

وكان من هؤلاء « بنو زهر ». أطباء سته تعاقبوا في أجيال سته. ثالثهم هو « عبد الملك ». المكتب به « أبي مروان ». الذي عمل في إشبيلية خاصة، وأخدم طبيباً في بلاط المرابطين في عهد علي بن يوسف، ثم في بلاط أول خلفاء الدولة الموحدية، عبد المؤمن، فكان طبيبه الخاص.

نشأ « عبد الملك بن زهر » في بيت يطلُّه العلم والأدب ويرفل بالعزَّ والجاه العريض. فأبوه. « أبو العلاء زهر » يمارس صناعة الطب حاذقاً فيها. فيطير صيته إلى بلاد الأندلس والمغرب، وكذلك جذَّه وسمَّيه « عبد الملك ». وقد طبَّب كلاهما الملوك والأمراء. وتبوَّأ منصب الوزارة... فكان أن ترعرع الابن عبد الملك. في أحضان هذه الأسرة. وهو واثقٌ من نجاحات تسمى إليه مثلاً يسمى هو إليها!

ومع أن « أسرة زهر » قد أنجبت. بعد هذا الابن. ثلاثة أطباء آخرين. وأنجبت طبيبتين اثنتين. في الأجيال الثلاثة التي تعاقبت. اشتهروا وسجَّل التاريخ أسماءهم بمداد الذهب. إلا أن عبد الملك - الذي تُعرِّفه لنا المراجع التاريخية بـ « الابن » - كان أبعدهم شهرةً وذو بوع صيت. فهو بمرتلة الذرة المتألقة. أو هو واسطة العقْد في جسد هذه الأسرة الطيبة العربية العريقة. حتى إنه إذا ذكرت كتب الطب والتاريخ اسم « ابن زهر » مطلقاً انصرف الذهنُ إليه هو دون أيٍّ من أصوله أو فروعه!

٢ - « كتاب التيسير في المداواة والتدبير » :

صنَّف ابن زهر. في حياته المديدة الحافلة. عدداً من الكتب في صناعة الطب. لعل أَوْفا « كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد » (سنة ٥١٥ هـ). ألَّفه للأمرير المرباطي « إبراهيم بن يوسف بن تاشفين » شقيق الخليفة « علي ».

ومنها كتابان ألَّفهما لولده الطبيب الشاعر « أبي بكر محمد » : تذكرة في أمر الدواء السهل. وتذكرة في علاج الأمراض.

ولكن أهمُّ مؤلفاته وأبْلَغها أثراً وتأثيراً. كان ولا شك « كتاب التيسير في المداواة والتدبير ». فهو الكتاب - الأُمُّ. بين مؤلفاته وبين ما صنَّفه أطباء عصره في الأندلس. ويكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة في دراستنا هذه. وبالأحرى : إضافة. تتبدى في النصوص الصغيرة التي وشَّاه بها أبو مروان. تلك التي تتعلق بمشاهداته وبأطراف من ذكرياته. حلَّوها ومُرَّها! فإنها ستكون مصدراً لنا يمدُّنا بما يُعيننا في تثبيت مدى علم الرجل. ويساعدنا في رسم شخصيته الفذة التي لم تذكر لنا المراجع التاريخية من ملاحظاتها المضبنة إلا نبذاً.

صُفَّ ابن زهر. كتابه النفيس هذا. في أوائل عهد الخليفة الموحيدي عبدالمؤمن بن علي. الذي بسط سلطانه على الأندلس منذ سنة ٥٤٢هـ. في «خطبة» الكتاب غير إشارة إلى شعارات الدولة «الموحدية» وداعيتها «المهدي» بن تومرت^(١).

ونعتقد أنه ألف الكتاب بروحي من ذاته وليس بإشارة أو بطلب من أحد. فالكتاب يجمع خلاصة علم الرجل. الذي اكتسبه بالتعلم والممارسة والتجربة. وقد فرغ من تأليفه قبيل وفاته بسنوات معدودات. وما كان يسعه. وهو الطبيب المداوي المعطاء. أن يجس ما في صدره من العلم الغزير ويمضي به إلى القبر. لو لم يطلب منه أحد أن يودعه في هذا الكتاب!^(٢)

جعل أبو مروان كتابه في سفيرين اثنين. بدأ أولها بنصائح وتوجيهات تتعلق بـ «حفظ الصحة». أو ما نسميه اليوم بـ «الوقاية». وبعده أخذ يبحث في «الأمراض المختصة بعضو عضو». بدءاً بـ «علل الرأس» ثم ثنى - كما يفعل الأطباء القدماء - بذكر «ما يحدث في جسم الإنسان عموماً من الأمراض». وبعده بـ «الأورام والحكة والقروح والدعامل...» مضيئاً إلى السفيرين جزءاً سماء «الجامع».

وقد اختتم كتابه - ولنقل: - موسوعته - بهذا الختام اللطيف :

« وهذا القانون يصحبك في أعمالك. فلا تعدل عنه إلى سواء. وعود عليه وبالله التوفيق. فقد أقدرك الله على تركيب كل ما تريد تركيه من شراب ودهن (...) وعلمتك ذلك بلفظ وجيز. ولو سلكت ذكرها. شرباً شراباً ودهناً دهنًا. لطال كئاني واستنفل قولي! وإنما كلامي نبذ تذكرتها. وأشياء من علم الطب وقوانينه حفظتها. فأثبتها من غير أن أستظهر على ذلك بكتاب أو أستعين بديوان. إلا فيها هو مركب قديم لا يمكن إلا إثباته على ما ذكرته من هذه المعاجز فنقلتها من مواضعها (...) فإن تكن إصابة. فتوفيق الله سبحانه. وإن يكن تفصير. فقد اجتهدت. والله شاهدي. وهو سبحانه ينفع بكائي. ويعلي أمرك وذكرك بمنه ولا رب سواه »^(٣).

فرغ عبدالمالك بن زهر من تأليف «التيسير» في منتصف القرن السادس الهجري تقريباً. وكان لا بد من أن يلقى الكتاب القبول والاستحسان الذي يستحق. في حياة مؤلفه وبعد

وفاته، كما كان متوقّعا أن تم ترجمته إلى اللغة العبرية، التي كان يهود الأندلس ينقلون إليها أمهات الكتب العلمية العربية. وعبر هذه القناة تمت ترجمة « التيسير » إلى اللغة اللاتينية غير مرة. وأصبح الكتاب يُدرّس في بعض الجامعات الأوروبية في القرون الوسطى.

ولقد قُبِضَ مخطوطة « التيسير » أن ترى النور، على صورة كتاب مطبوع. في مطلع القرن الخامس عشر الهجري. وعلى وجه التحديد سنة ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م)! قام بتحقيقه الدكتور ميشيل الحوري عضو مجمع اللغة العربية^(١٤). وتولّت نشره المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم (تونس). وراجعته على أصوله المخطوطة الدكتور عبد الكريم اليافي عضو المجمع أيضا. وقُدِّمَ له الدكتور عمي الدين صابر المدير العام للمنظمة^(١٥).

٣ - علم ابن زهر وتجربته :

لدى قراءة كتاب « كتاب التيسير في المداواة والتدبير » يترامى لك، غير صفحاته، ذلك الطبيب العالم المتحرّي، الذي يُقدِّم لك علمه وتجربته بتواضع جم. وربما استطراد. وهو يشرح لك الأمراض والأعراض والأدوية والمعاجز. فأخذ يحدّثك عن ذكرياته الخاصة. وعندئذ يعود بك إلى موضوعه مع اعتذار منه لطيف! وتراه يريد للطبيب أن يُخلِّص في مهنته ويتمسك بالعهد الذي قطعته على نفسه أمام الله يوم تعلّم صناعة الطب. كما يريد للعليل أن يثق بطيبه. وأن يُصغي لنصحه ويأخذ بتوجيهاته. وأن يكون. كذلك، « من أهل الصبر والجَلَد »^(١٦).

ولقد رأى كثير من الباحثين أن من يقرأ « كتاب التيسير » يتخيّل أنه يستمع إلى درس يلقيه عليه أستاذ متمكّن قدير! لنصع إلى أبي مروان وهو يشرح لنا « تركيب العين ». حسب تصوّره لذلك وتصور أسلافه :

« والعين مركّبة من عدّة طبقات، أولها مما يلي البحف كأنها غشاء، ويلبها إلى جهة الهواء شبيبة بالمشيمة، وتلي المشيمة شبيبة بالشبكة. وللعين رطوبات أشرفها الجلديّة. وهي الآلة للإبصار. وهي بين رطوبتين : فمن جهة البحف الرطوبة الزجاجيّة. وهي للجلديّة كالغذاء لموافقتها لذلك. ومما يلي الهواء الرطوبة البيضاء وهي تُندى الجلديّة وتُحيط بها وتُحفظها. وتُحيط بالرطوبة البيضاء يشبه العيّنة. لونها أسود فُرْفُريّ. ويعنوها غشاء يحيط يشبه القرن المنحوت

مركب من أجزاء كالصفائح . ويطبق به ، إلا اليسير منه مما يلي خارج العين ، المتحتم وهو لا يعم القرنية كلها... »^(٧) .

ثم انظر إلى دقته وهو يشرح لك طريقة بها تستطيع . إن كنت طبيبا ، أن تخلّص مريضك من أوجاع تُسببها له حصى في الكلأ أو في المثانة... فإذا ما اشتدّ الوجع على العليل ، لانسداد مجرى المثانة ، بسبب اندفاع شيء من الحصى إلى هذا المجرى . يقول ابن زهر :

« رقد العليل على ظهره ومَرّه أن يهتز ، لأن كل جسم أرضي يتزل بضعه إلى جهة الأرض . فإن الحصى ترسب إلى المثانة . ليفعل ذلك في الحمام (... وأن) يبول وهو على ظهره . وأن يغمز يده غمزا خفيفا على موضع المثانة من خارج ، فإن العليل يبول على تلك الحال وتسكن شدة ألمه جملة »^(٨) .

وقد تحدث بعض الباحثين الغربيين عن ابتكارات في الطب استحدثها ابن زهر . يقول المستعرب الفرنسي غبريل كولان . بحماسة ملحوظة :

« ونجد في آثار ابن زهر ، لا نظريات أصيلة فحسب . ولكن نجد أيضا ابتكارات مستحدثة لم يسبقه إليها أحد ، كوصفه للأورام التي تحدث في الغشاء الذي يقسم الصدر طولاً ، أو قرحية الحجاب الحاجز ، وهي أمور لم يسبقه إلى وصفها أحد . وكان أول طبيب عربي يقبل عملية خزع الرغامي . وقد عرف التغذية الصناعية عن طريق البلعوم والشرح وشرح طريقها »^(٩) .

فأما الورم . في ذلك « الغشاء الذي يقسم الصدر طولاً » والذي يُسمى اليوم : « المُنَصَف Mediastin » . فإليك الوصف الذي أبقاه لنا طبيبنا العربي منذ أكثر من ثمانية قرون... يقول :

« ويحدث في الصدر ، في الغشاء الذي يقسمه طولاً والرقبة والقلب منوطاً به ، أن يرم (...) وورم هذا العضو يتبعه سعال منقطع . ووجع يمتد طولاً إلى اللبة . واختلاط في الذهن . وحتى حادة . وأما النبض . فإنه يكون منشارياً بذات موضع الورم (...) ويجد صاحبه تلهباً وعطشا شديداً ، واستنشاق الهواء البارد يسكن عطشه أشد مما يسكنه شرب الماء البارد . وأما التنفس . فيكون صغيراً متواتراً شديد الحرارة . وفي مثل هذا الورم الفصد فيه لازم »^(١٠) .

وقد يقوم ابن زهر بتجربة، ولكنه لا ينصح الأطباء بها. لأن الأمر كما يراه. « عوبص في نفسه ». إلا أنه يذكرها لك في ختام بحثه حذراً! في حديثه عما يعرض في الرقبة من الأورام. من « انتفاخ النهاة »، التي « إذا عظمت ورثها لم يؤمن الاختناق ». و « الذبحة ». التي تكون في عضل الخنجر إذا ورمت «، وكذلك الأورام في ما يلي الرقبة : في قصبة الرئة « وفي « المري ... » بقدّم لك. في حديثه ذاك. كل ما عنده من علاجات. وبعدئذ ينصحك. أنت الطبيب المداوي :

« وأقول لك، في هذا الموضع، قوله اعتمد عليها. في هذا وفي سائر أورام باطن البدن (...) : أن تأطل العليل وتداخه عن النوم. حتى يأخذ الخلط ^(١١) في التحلل والارتداع (...) واجتهد فيه بتلطف من غير حمل، مثل أن تشغله بالأحاديث المطرية ! «، وشممه رائحة الكافور، فإن ذلك يُعينه على قلة نومه وسهره. أو رائحة شجرة الرهبان. مفرقاً في هذا بين حالات يكون فيها العليل شاباً أو كهلاً أو شيخاً، وبين ما إذا كان الفصل صيفاً أو شتاء... إلى أن يقول :

و « إني أضريتُ عما ذكره الأطباء. في علاج « الذبحة المفترقة ». من شق الرئة شقاً يكون قدره مثل ثقب الأنف الواحد أو دون ذلك (...) غير أني. وقت طلبي، عندما رأيتُ ما ذكره الناس المتأخرون من ذلك (...)، شققتُ قصبةً عترة. بعد أن قطعتُ الجلد والغشاء نخته، وقطعتُ من جوهر القصبة قطعاً باتاً دون قدر الترمسة. ثم التزمتُ غسل الجرح بالماء والعسل حتى التأم. وأفاق إفاقة كلية، وعاش مدة طويلة... ».

ومع نجاح تجربته في ذلك العترة، فإن طبيبنا يُنبّه : « ولكن هذا شيء لم يستعمله أحدٌ ممن لحقناه وممن لحقه سلفنا، فلماذا لم أذكره بدءاً ؟! ^(١٢) ».

وهناك عدد من الباحثين أكدوا أن ابن زهر كان أول من وصف طفيلي الجرب. المسمى « صؤابة الجرب ». وذلك في قوله. هذا الدقيق الواضح :

« ويحدث في الأبدان. في ظاهرها. شيء يُعرفه الناس بالصؤاب. وهو حكة تكون في الجلد. ويخرج - إذا قشر الجلد - من مواضع منه. حيوان صغير جداً يكاد ينفوت الحسن ^(١٣) ».

ومن ابتكاوات أبي مروان، التي لم تَرُدْ في كتابه^(١١)، ما رواه ابن أبي أصيبعة من أن الخليفة الموحدي عبدالمؤمن ه احتاج إلى شرب دواء سهل، وكان يكره شرب الأدوية المسهلة، فتلطَّ له (طبيبة الخاص) ابنُ زهر في ذلك، وأتى إلى كرمة في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به ماءً قد أكسبه قوةً أدوية مسهلة، بَنَفَعَهَا فيه أو بغليانها معه! ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التي أرادها وطلع فيها العنب وله تلك القوة، أحس الخليفة، ثم أتاه بعنقود منها، وأشار عليه أن يأكل منه، وكان (الخليفة) حسن الاعتقاد في ابن زهر، فلما أكل منه، وهو ينظر إليه، قال له: «يكفيك يا أمير المؤمنين، فإني قد أكلت عشر حبات من العنب، وهي تخدملك عشرة مجالس!»، فاستخيره عن علة ذلك، وعرفه به، ثم قام على عدد ما ذكره له، ووجد الراحة، فاستحسن منه فعله هذا وتزايدت منزلته عنده^(١٢).

ومن أخلاق ابن زهر الطبية أنه كان - إلى اعتداده بنفسه وبعلمه - متواضعاً لا يتردد في التراجع عن رأيٍ له متى بدا له أن ثمة رأياً أفضل منه، وكذلك في الاعتراف بخطئه - إن أخطأ - مع التعبير عن بالغ الأسف والتندم!

روى ابن أبي أصيبعة، في ترجمته للطبيب ه أبي بكر محمد ه ابن طبيبنا عبدالملك والمعروف به الحفيد ه، أنه - وقد كان طبيباً صائب الرأي، حسن المعالجة، جيد التدبير ه - صبح لنفسه، وهو في ه حال شيبته ه، أن يشير على الخليفة عبدالمؤمن بوجود أن يُبدَّل بدواء مفرد كان أبوه قد وصفه له، دواء غيره قام هو بوصفه! فلم يتناول عبدالمؤمن هذا الدواء، فلما رآه الطبيب الأب قال: «يا أمير المؤمنين، إن الصواب في قوله!»، وبدَّل الدواء، فوجد الخليفة نفعاً يَبِينُ^(١٣).

ولكنه يعترف بخطئه صراحة، إذا ما أخطأ في تشخيص مرض أو وصف دواء، معبراً لك عن عميق ندمه وهو يستغفر الله من الغلط!

يقول، في ه التيسير ه، إن الأطباء يتكلمون بحسب إدراك عقولهم: ه ونقف عقولنا فيما حجب عنها! ه، ثم يروي ما كان منه، وهو في أول اعتضاله بمراكش، فقد شكت المرأة^(١٤) أمراضاً اقتضى الحال أن يصف لها أدوية، لم يكن لأحد قط أن يتخيل - مع شرب جزء يسير منها - أن ه الجنين يبقى ه إن كانت المرأة حاملاً! وقد نادى في نجرينها الدواء

دون أن يؤثر فيها شيئاً... حتى تبين له أنها حامل! يقول: «قدمت». واستعفرت الله من الغلط». ومع هذا - يقول - «وُلد ذلك الجنين سوياً بإذن الله. وها هو عندي!» (١٨).

على أنه كان. في ابن زهر. جانب «صيدلاني» إلى جوار الجانب «الطبي». في تكوينه العلمي والعمل. يقول في ذلك - كالمعتذر! - : «... وأما أنا. فإن في نفسي مرضاً من أمراض النفوس. من حب أعمال الصيدلانيين. وتجربة الأدوية والتلطف في سلب بعض قوى الأدوية وتركيبها في غيرها. وتمييز الجواهر وتفصيلها. ومحاولة ذلك باليد. وما زلت مغمماً بذلك مبتلياً بحبه. فسكتُ هذا المنهج شهوةً فيه. وإن كان على ما هو عليه من الامتنان!!» (١٩).

وفي اهتمام ابن زهر الملحوظ بالأدوية. نراه يوجه إلى الأطباء هذا النصح العالي... استمع إليه :

«ولا بد لك أن تنظر بحسب القوة والسن والمزاج. كما قد ذكرت لك. فإنه ليس يحتمل من الأدوية الصبي ولا الشيخ الفاني ما يحتمله الشاب أو الكهل. وكذلك ليس يحتمل أهل الدعة والخفص ونعامة الأبدان وأهل الزعر» (٢٠) من الأدوية ما يحتمله القريائيون (٢١) الذين أبدانهم سُرقحة (٢٢) (...). والمزاج الطبيعي لأهل الدعة والزعر أربط من المزاج الطبيعي للقريائيين أهل الجلد. فذكر هذا أبداً. ولا تضرب يديك إلى علاج حتى تخطر هذا في نفسك. والله أسأل أن يوضح لك منهاج الصواب بقدرته» (٢٣).

ولن أدعك. عزيزي القارئ. قبل أن أذكرك بأن من الغذاء. الذي كان الأولون يرونه نافعاً. «الحيات». على أن تراعى في انتقاها. وفي ذبحها. وفي إعداد الأقراص من لحمها. طرق خاصة! فالحياة يزاد شرها كلما بغدت مواطنها عن المياه. ويتابع العالم الدكتور أحمد شوكت الشطي. مؤرخ الطب. في حديثه عن مخطوطة ابن زهر الموسومة بـ «الأغذية». فيقول: ويذكر ابن زهر في صدد ذلك خبرته قائلاً: «وأما أنا. مراراً كثيرة أمرت من يشكو فساد مزاجه أن يأكل من الأفاعي بيضها. فانفع بذلك». وهو قد أطعمها للخليفة المرابطي علي بن يوسف فانفع بها. ثم يشرح ابن زهر طريقة ذبحها الضامنة لعدم تسرب سمومها إلى جسمها» (٢٤)... فإذا ورد حول ذلك في «كتاب التيسير»؟

يقول ابن زهر في « الجامع » ، وهو الجزء الذي ألحقه به « التيسير » ، تحت عنوان « صفة عمل أقرص الأفاعي » :

« يؤخذ من الأفاعي المعتدلة القد، الحُمْرُ الأعين، السريعة الحركة، الواسعة الرؤوس، التي يتحول طرف فكها الأعلى إلى فوق كأنه تَوَلُّول. تأخذها في فصل الربيع، بعد أن يمضي عليها وهي تخرج من أجحارها نحو عشرين يوماً. ولا تكون أذنانها مثلونة، وهي صفة الإناث وهي المستعملة، فأمر بقطع رؤوسها وأذنانها، وقدرُ ما تقطع من رؤوسها وأذنانها أربع أصابع. تُنقَع دُفْعَةً واحدة بسكين على هذه الصفة : يوضع عليها، ويُضْرَب، ببيزْبَة لها يَتَلُّ معتدل، على ظهر السكين لينقطع طرفها دُفْعَةً. وأجودها ما تحرَّكت جثتها بعد القطع بسرعة ودامت حركتها. تُسلخ الأفاعي يرفق بعد قطعها، وأمر بإزالة شحومها ومِعَافا. ثم توضع في قدرٍ جديدة على نار فحم فيها يغمرها من ماء العيون. ويوضع عليها في الماء ملحٌ يسير وثبت رطب لا يابس. وتُطْبَخ. فإذا نَصِجَتْ لحومها نُضِجاً جيداً، فأمر بإزالة القدر، وأمر بتفكية الشوك من لحومها. ثم أمر بسحق اللحم مع زنتها من خبز محترم من سميد، حتى يأتى الجميع شيئاً واحداً، ثم يُقَرَّص ذلك. فإذا قَرَّصَتْها فامسحْ يديك بدهن بَلْسَان. وجفِّف الأقرص في الظل » (٢٤).

٤ - اعتقال ابن زهر :

أخيراً، غير مرة. إلى أن عبد الملك بن زهر اعتقل وقضى مدةً في سجنٍ بمراكش ! والواقع أن المصادر التاريخية لم تُفصِّح لنا عن الأسباب التي حملت الخليفة المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين على سجنه. وإن قال « ابن الأبار » عن أبيه « زهر » أنه « توفي بقرطبة منكوباً » (٢٥).

وأما اعتقال الابن، عبد الملك، فقد أشار هو نفسه إليه في « التيسير » مراتٍ كثيرة. فقد كان يتوقَّف وقفاتٍ مُنعمَةً بالمرارة والألم، كلما عثَّ له ذكرى من أيام السجن، كما أنه أشار مرة إلى تجوُّله « منفياً في البلاد مع أحد الثوار! » (٢٦). وقد تبيَّن أيضاً، شيئاً من معاناته لدى استئناف عمله بعد إطلاق سراحه. وقبل أن يقع ذلك « الانقلاب » الذي آل فيه الحكم إلى أيدي « الموحدين ». وكما غَمَضَتْ علينا أسبابُ اعتقاله. كذلك جهلنا المدة التي قضاها بين السجناء المعذبين في سجن مراكش أيام تلك الاضطرابات والفتن (٢٨).

ولقد كان متوقفاً من طبيئنا العالم المتطلع أن يسجد، وهو في السجن، من مشاهداته، فيضيف إلى معارفه الجمّة تجارب مما يُعاني في عالم السجناء. يقول، في حديثه عن « الأمراض الوبائية وما يكون من الحُمّيات فيها »، « الوباء الحادث برداءة الأغذية. أنّ الوباء يكون » أيضاً عند إفراط المجاعات واضطرار الناس إلى أكل الحبوب الرديّة (... أو) اللحوم الرديّة (...)، وقد شاهدتُ، وأنا في أسْر علي بن يوسف وفي سجنه. قوماً، كانوا في أطباق سجنه المعروف بـ « قرقيدن »، يتطارحون على أعشاب كانت تُزال عن السقوف ويأكلونها. وإنّ مما كانوا يأكلون نوعاً مذموماً من أنواع اليتوع وغير ذلك لآلم الجوع. وكان يموت كلّ يوم منهم عدد من عشرة » (٢٩).

على أن حاجة علي بن يوسف إلى طبيئنا العليم ظلت قائمة حتى وهو في السجن. فكان البلاط يعرض عليه بعضُ الحفاصة لمعالجتهم، ومنهم من وصفه ابن زهر بـ « خطيب » الخليفة عليّ، كانت « به حصاةٌ وهو في أسباب الهلاك. فأخذه بشرب ثلثٍ واحد من درهمٍ واحد من دهن البلسان. فلم يلبث أن يالها بعد يوم. أو أزيد من يوم. فاستغرب ذلك المعالجون واغتصون به وبالشفّي صاحبة (٣٠) ». فألني حيث ذكر قلت قد ذكر (٣١).

٥ - وفاة ابن زهر بمعرض يسمى « النغلة » :

قلنا أنه لم نعرف السنة التي ولد فيها عبد الملك بن زهر. إلا أن هناك من يقول إنه كان، يوم حضرته الوفاة. قد بلغ السبعين. وهنالك من يرى أنه تجاوز التسعين. وكانت وفاته، مثل أبيه. بـ « النغلة »، ذلك المرض المستعصي على البرء الذي كان قد أتى على وصفه في « التيسير » فقال : « والثملات هي » أورامٌ تكون تحت الكتف. غائرة إلى الداخل، تعرض في البهيم وفي الشمال (...) وإنما تعرض لمن أسنّ. وأكثر ما تكون إذا تعرض للإنسان أنكاد وكان يُكثر الفكرة وتتوالى عليه المصوم... » (٣٢).

ومما تحدّثنا به إحدى الروايات أنه كان في إشبيلية. أيام ابن زهر، طبيبٌ يُعرف بـ « الفار »، دأب على أن يُداعب أبا مروان، المُكرّم من أكل التين، بقوله : « لا بد أن تعرض لك نغلةٌ صعبةٌ بمداومتك أكل التين! ». وابن زهر يستجيب للدّعاة بمثلها : « ولا بد، لكثرة حينتك وكونك لم تأكل شيئاً من التين. أن يُصيك الشنّاج! » وتقول

الرواية : « فلم يمت المعروف بالفار إلا بعلة التشنج . وكذلك أيضاً عرض لأبي مروان بن زهر دُيْلَة في جنبه وتوفي بها ! وهذا من أبلغ ما يكون من تقدمه الانذار » ! (٣٢) .

وكان ابن زهر قد قال في الثغلات : « أما الحادثة (منها) عن خَلَطُ محزق . فيكاد أن تكون لا بُرَّ لها ! (... و) مثل هذه لا ينفع فيها عملُ اليد ، ومتى نالها الحديدُ (٣٣) تفاقم أمرها ، وهي تأكل ما يتصل بالموضع أكلاً » (٣٤) .

ويقول عن موت أبيه بها - ولم يكن حاضراً مرضه . لأنه كان في مراکش - أن الثغلة أصابته « في الجانب الأيسر وامتدت طولاً نحو الشير . ثم عاد الموضع لا يحس ، وكان المتوكلُ لعلاجه يقطع أجواف الثغلة فلا يحس بذلك . ولم يزل الأمر كذلك حتى وصل بالاتصال مصار ذلك إلى قلبه . فمرضه سوء تنفس نحو يومين . ومات رحمه الله » (٣٥) .

ومعرفته - طبيباً عالماً - بالأدواء . وكونُ أبيه قد قضى بهذه العلة نفسها ، التي - ها هي ذي - تذهمه هو أيضاً . ذلك ما جعله يستسلم لعجزه عن مداواتها ! ولقد كان يستمع ، بعد أن استفرغ جهده في معالجة نفسه بالمراهم والأدوية التي يعرف . إلى ابنه . الطبيب الشاعر « أبي بكر محمد » . وهو يقترح عليه : « يا أبي ! لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني . ولو زدت من هذا الدواء . واستعملت دواء كذا وكذا ! ... بصني الأب إلى ابنه . ثم يقول : « يا بني ! إذا أراد الله تغيير هذه البنية . فإنه لا يُقدَّر لي أن أستكمل من الأدوية إلا ما يتم به مشيئته وإرادته ! » (٣٦) .

وتوفي ابن زهر سنة ٥٥٧ هـ (١١٦٢ م) . ودفن بإشبيلية خارج باب الفتح .

٦ - آله :

ألف أبو مروان عبد الملك بن زهر عددا من الكتب الطبية . والموجود منها في المكتبات العالمية هو :

- ١ - « كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد » . ألقه للأمير المرابطي إبراهيم بن يوسف بن تاشفين . وثمة مخطوطة منه في المكتبة الوطنية بباريس .

٢ - « كتاب التيسير في المداواة والتدبير » . ثمة مخطوطة منه في كل من : باريس .
والرباط . والمكتبة البودلية في اكسفورد . والمتحف البريطاني بلندن .

٣ - « كتاب الأغذية » . مخطوطة منه بباريس .

ومن الكتب التي ذكرتها المصادر التاريخية ولم يتم العثور عليها :

٤ - « كتاب الزينة » .

٥ - « تذكرة في أمر الدواء المسهل » . كتبها لولده الطبيب أبي بكر محمد الذي سمي فيها
بعد بالخفيد .

٦ - « مقالة في علل الكل » .

٧ - « رسالة في علل البرص والبق » . كتبها إلى بعض الأطباء بإشبيلية .

٨ - « تذكرة في علاج الأمراض » . كتبها لولده أبي بكر ^(٣٧) .

٧ - ما يبقى من ابن زهر :

في « كتاب التيسير في المداواة والتدبير » . رأينا ابن زهر وهو يتحدث « محالفيه المتوهمين » .
في يومه ذاك وفي غده . أن يُحكّموا « التجربة » في ما بينه وبينهم ... يقول :

« كل ما ذكرته في كتابي هذا وأثبتته . لا شئت سيروم من يتعسف تزيفه بالكلام ! وأنا
أحاكمهم - كنت حياً أو ميتاً - إلى التجربة ... » ! ^(٣٨)

والنتيجة . فيما ابتكره عبد الملك بن زهر وجدّد . ظلّت قائمة بعد وفاته رحمه الله . كما
ستبقى فيصل الحكم في كل ما يقبل التخريب من العلوم . وكان لا بد للتجربة أن تؤكد صحة
الصحيح الذي جاء به . مثلاً تُبين خطأ ما عداه .

ومع تقدّم العلوم الطبية والمعارف الانسانية . في المائة سنة الأخيرة . فإن كثيراً من المسلمات
عند الأقدمين قد تبدّد وذهب أدراج الرياح . في ظل الوثبات الكبرى في الطب . وفي العلم .
وفي سائر مناحي الحياة .

فكم بقي من طب ابن زهر، تحت وطأة التجريب. وكم ذهب؟

إلا أنَّ عظمة ابن زهر تقاس بموازين عصره ومعايره. لا بموازين أيامنا ومعاييرها. ولقد كان في عصره. طبيباً فذاً، في علمه، وفي تجريبه وابتكاره. وفي أخلاقه الطبية أيضاً. وفي ما كتب محمداً ومحمداً^(١).

الهوامش

- (١) يقول ابن زهر : الحمد لله الذي كل ما نفع الحواس عليه يشهد له بـ (الوحدانية) والقدرة. وصل الله على محمد المرتضى. ورسي عن أصحابه أعلام الدين ومصايح (المهديين) ... « . التيسير : ص ٧.
- (٢) ليس صحيحاً ما عُلِّلَ برفده المؤرخون والباحثون طوال ثمانية قرون ونيف. من أن ابن زهر قد ألف كتابه هذا بطلب من معاصره ابن رشد. وأن هذا الأخير عدداً ألف « كتاب الكليات ». في الأمور الكلية في الطب. « قصد من ابن زهر أن يؤلف كتاباً في الأمور الجزئية لتكون جملة كتابيها ككتاب كامل في صناعة الطب ... تلك « العلة الخارجية » التي وقع فيها ابن أبي أصيبعة (٥٩٦ - ٦٦٨ هـ) في كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء ». ثم تناقلها - دون تحصيل - كل من كتب عن ابن زهر وكتابه الشهير هذا؟ وقد أعددت، في تصحيح هذه العلة، دراسة حولها « علة ابن أبي أصيبعة في مفاته عن دفع ابن زهر لتأليف كتاب التيسير ». يثبت فيها أن « تيسير » ابن زهر سابق زمنياً، في التأليف وفي الظهور، على « كليات » ابن رشد، ألّفها في المؤتمر السنوي الثامن لتاريخ العلوم عند العرب الذي أقامه معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب يومي ٢٥ و ٢٦ نيسان (أبريل) ١٩٨٤. ثم نشرت الدراسة في « مجلة العربية للثقافة » (التي تصدر عن المنظمة العربية للثقافة والعلوم) العدد السابع، ذي الحجة ١٤٠٤، سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤.
- (٣) « التيسير » : ٤٨٦ و ٤٨٧.
- (٤) توفي بدمشق سنة ١٩٨٠، رحمه الله.
- (٥) طبع الكتاب بدار الفكر بدمشق. وجاء في ٥٦٠ صفحة من القطع المتوسط (١٧ × ١٤ سم). وألحقت به محارس بالمصطلحات الطبية وأسماء الأدوية والأعذية المفردة والركبة. أعدّها الدكتور مختار هاشم.
- (٦) خاصة عند تحرير كسر العظام. « إن كان العليل « حوّاراً ضعيف النفس ولا شجاعة له (...) فلا بد أن تستعين على ذلك بخمسة حذّاق لهم جلد وقوة يعاونون عليه عندما يجد الألم. فلا تُمكنه حركةٌ كيلا يُفسد عليك عسك ! » . « التيسير » : ٣١٧.
- (٧) « التيسير » : ٥٧.
- (٨) « التيسير » : ٢٧٦ و ٢٧٧.
- (٩) كتاب « الطب العربي الأندلسي » عبد الملك بن زهر الأيبادي بمناسبة الذكرى السبعائة لمولده. أسوة العلم الثالث عشر ١٩٧٢ « الذي أقامه بدمشق المجلس الأعلى للعلوم، الصفحة : ١٣٣. وسوف تشير إلى هذا المرجع باسم « كتاب المجلس ».

(١٠) « التيسير » : ٢٢٦ و ٢٣٠

ثم يمددنا ابن زهر. عا عاينه هو في نفسه من أعراض هذا المرض. يوم كان مطارداً من قبل السلطة (ذلك أنه احتفل مدة. كما سيجي)... يقول : « هنا أردت اليوم وجدت حسّ الوجع في القسم المذكور مستطيلاً. فلم أنزل من مضجعي إلا والأمر قد تعاقم. والشعاع قد ألح إلحاحاً كثيراً. ووجدت نبضي صلباً شديداً الصلاة. وفي خلال ذلك التيسير في حتى حدة. وجهت عند الفاصد. وقصبت نحو العشاء الآخر واستفرغت من الدم نحو رطل. وغبث لياني تلك في جهد شديد من الحصى والسعال... » « التيسير » : ٢٣٣.

(١١) يأخذ ابن زهر بنظرية « الأخطا » التي تحاول أن تفسر عمل الدواء في الأجسام. تلك التي سادت الطب من أيام الإغريق حتى العصور المتأخرة. متبعاً في ذلك الطبيب الإغريقي الأشهر « جالينوس ». صاحب هذه النظرية التي كانت ترى الكون مؤلفاً من أربعة عناصر هي : النار والتراب والهواء والماء. فحاصل كلاً منها خاصّة معروفة : فالتار الحرارة. وللتراب البرودة. والهواء الجيوسية. وللماء الرطوبة. والجسم مؤلف من هذه العناصر. ويكون عمل الأدوية هو أن تغيّر التوازن بين هذه العناصر. ففقدانه يؤدي إلى المرض وإلى الموت.

(١٢) « التيسير » : ١٤٨ - ١٥٠.

وفي استنفاص ابن زهر ودفعه العنية بشير. حقل حديثه هذا. إلى أن الأطباء كانوا قد قالوا أن « جالينوس لم يذكر هذا العلاج ». ويضيف : إنه لم يصبوا في ترجمته. فإن جالينوس قال : « فكثيراً ما يقطع القرب وتشق القصة »! وقد عني ابن زهر بـ « القرب » هنا : شحم العنق الذي يلي قصبة الرئة. وأما عن « القصة » فقد قال : « جرت عادة القدماء بأن لا يمسوا القصة بإطلاق إلا قصبة الرئة ». « التيسير » : ١٤٩.

(١٣) « التيسير » : ٣٦٤.

ولكن الدكتور ميشيل الخوري. محقق الكتاب. يبين. في مقال له سابق على تحقيقه « التيسير ». أن ما يقوله هؤلاء الباحثون يتفق مع ما جاء في معجم دورلند الطبي الأمريكي (طبعة ١٩٦٥ م) من أن ابن زهر « وُصف صؤابة الحرب ». ومع ما ورد في دائرة المعارف البريطانية (١٩٦٥ م) من أن ابن زهر « كان أول من وصف الحرب والصؤابة المسية له ». إلا أن آخرين - ينابع الدكتور الخوري - قالوا أن « ابن زهر. بوصفه صؤابة الحرب. كان أول عالم في الضميمة بعد « الاسكتسو الزالي » البيزنطي. الذي كان من أهل النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ». ويضيف أنه « يتضح من إحدى الدراسات الحديثة أن أحمد الطبري الفارسي. وهو من أهل النصف الثاني من القرن الميلادي (!) كان قد سبق ابن زهر إلى وصف صؤابة الحرب في كتابه المعالجة الفارسية ». « كتاب اهنس » : ١٨٨ و ١٨٩.

(١٤) ربما لأنها وقعت له بعد أن غطى يده من تأليهه!

(١٥) « طبقات الأطباء » : ٢ : ٦٦.

(١٦) « طبقات الأطباء » : ٢ : ٦٨.

(١٧) يعني : حليته.

(١٨) « التيسير » : ٢٨٥.

ثم إن ابن زهر يستشهد. بعد هذه الواقعة. بحالة ذكرها جالينوس. انخرق فيها غشاء الدماغ : « والنجوم المعهود أن من انخرق ذلك منه يموت على الفور. فلما رأى جالينوس رجلاً انخرق ذلك منه وأفاق. قال : « فأجابه الله »! ». يقول ابن زهر غير كاشم إصعابه : « وما أتدع قول جالينوس! ». ثم يضيف : « وكذلك الرجل العاقل

من الأطباء والفلاسفة بترتيب ينظره ويقت. ويستد علم ما لا تنهني عقول البشر إليه من ذلك، إلى الله سبحانه .

« التيسير » : ٢٨٥ و ٢٨٦.

(١٩) « التيسير » : ٣٢٠.

يقول : « الامهات ! لأنه تلقى . عن أبيه الطبيب أبي العلاء . أن على الطبيب أن يتتبع عن مجارسة ما يسميه
« أعمال اليد » . تلك الأعمال التي - وإن كانت متعلقة بالطب - جدير بها أن تؤدى من قبل فئة أخرى من العاملين في
أعمال الطبي . هم « صناع اليد » (وبعضهم ممن نستقيم . في مصطلحنا الحديث ، بالجراحين ، وبعضهم بالمساعدين
والمرضين والخدم).

وقد عدّد ابن زهر . في موضع من « التيسير » . غير قليل من هذه الأعمال ... التي منها « الأعدية والأدوية » .
فإن الطبيب - كما نعلم عن أبيه - يُدبّر بالأعدية والأدوية أمر المريض . ولكنه لا يتناول يديه شيئاً من ذلك . كما
ليس من شأنه أن يعهد للعاجل إلا في الضرورة . « التيسير » : ٣١٨ و ٣١٩ . ومن هنا يرى أبو مروان في
« هوائيه » هذه خروجاً عما رسم أبوه . له وللأطباء عامة !

ومع إيمان ابن زهر على تجربة الأدوية . على نحو ما « اعترف » لنا . فإن ذلك لم يُفهم من اهتمام « لطيف » بوجهه
إليه . بعدما يريد على ثمانية فروع من الزمان . المستغرب الإمبالي « سلفادور غوميث نوحايت » . الذي قال :
« وكثيراً ما يقال أن (عبدالملك) كان طبيباً أرسطوالياً . أي أنه كان يكتفي بمعالجة المريض . ووصف الدواء . بدون
أن يتناول ويركب الدواء . أو يثبّت يديه في الجراحة التي كان يعهد بها إلى مساعده له ! » « المجلس الأعلى للعلوم .
أسبوع العلم الثالث عشر . الكتاب الأول » . الدكتور سلفادور غوميث نوحايت . محاضرة بعنوان : « ابن زهر
الطبيب الأندلسي » : ٢٩٨ . وسوف نشير إلى هذا الترحيح باسم « محاضرات المجلس » .

(٢٠) الزغر : فقه الشعر . والزير : القليل الشعر والمترقعة . كالأزهر . وهي زعراء ج زغر .

(٢١) الفلاحون .

(٢٢) يابسة .

(٢٣) « التيسير » : ٤٢٩ .

(٢٤) « كتاب الجنس » : ١٤٣ . مقال بعنوان : « متحبات من كتاب الأعدية » .

(٢٥) « التيسير » : ٤٧٧ و ٤٧٨ .

ويلاحظ . في النص . مدى ترفع ابن زهر عن أن يرضى للطبيب أن يعمل يديه في تحضير هذا الغذاء الدوائي !
إنه ليخاطبه : « فأنز » ينقع رؤوس الأعاصي . « يضرب » السكين . « تسليخ » . « وأمر » بإزالة شحوماتها ...
يطلب منك . بصفتك أستاذاً لك . أن « تأمر » مساعديك بالعمل . مستخدماً في ذلك . بعد فعل الأمر . المضارع
البنوي للمجهول !

(٢٦) « التكملة لكتاب الفصلة » . المطبوع في عريط ١٨٨٦ . تفلأ عن « كتاب المجلس » : ٢٢ .

(٢٧) « التيسير » : ٢٥١ .

(٢٨) في أسباب اعتقاله . الفاضلة . نساءل : ترى هل حال عبدالملك وأبوه زهر . إلى دعوة الموحدين التي بدأ انتشارها سنة
٥١٥ هـ . قبل أن يستعمل أمرها خفوض أركان الدولة . فتم عليها الحليفة المراتشي علي بن يوسف . فكتب الأب في
قرطبة وساق الابن إلى سجن مراکش ؟ ذلك أن عبدالملك نال . بعد أن رفعت رايته الموحدين في سماء الأندلس .
منزلة كبرى عند حبيبتهم « عبدالقمن » حتى إنه عدا عليه الخاص !

أقدم رأي هذا بنحفظ. فإن من الأسباب المتخوفة. أيضاً. لشدة كبري يثاقا عبدالملك عند الخليفة الجديد، أنه كان أعظم أطباء زماته. فهو غذا وحده جدير بأن يقتلو طبيب الخليفة الخاص. وإن مما يزيد في عطف زعيم الدولة الجديدة على أبي مرزان أنه كان قد نُكِب هو وأبوه. في العهد «البائد». في الحرية الشخصية وفي المال! «التيسير» : ٤٣٠. ذلك في أثناء الحروب الأهلية الطاحنة التي دارت بين المهديين (الموحدين) وبين دولتا الرابطين، وما رافقها من مجاعات.

(٢٩) بنقص الخليفة علياً بن يوسف!

(٣٠) «التيسير» : ٢٧٧.

ويرى الشعب الاسباني نوغايت أن ما أُلْقِيَ ابن زهر من الاعتقال هو «براعته الطبية». فقد كان يداوي رفاقه في السجن وأمرأة عائلة الحاكم. لذلك اتخذ أبو يوسف طبيباً خاصاً له. وأوصاه بتأليف كتاب يكون بمثابة مختصر طبي يتناول في الفوائد العلمية في البلاط». «محاضرات المجلس» : ٢٩٧ و ٢٩٨.

ونرى أن إطلاق سراح ابن زهر لم يُغلبه استرداد سابق مكانته عند الخليفة المراتي. وهو بالتالي لم يعد طبيه الخاص. وإن كان يُشارك غيره من الأطباء في معالجته. يحدثنا ابن زهر أنه. في مرض الخليفة الأخير الذي مات منه. بادر «سليمان طبيب علي بن يوسف» (حسب قول ابن زهر نفسه) «إليه من الأندلس. وكان شيخاً فاجهد نفسه (...). فدخلت عليه فرأيت مصطرباً. وعرض عليّ مائه. وكان عهد أخذة قريباً (...). ومات إلى ثلاثة أيام». «التيسير» : ٣٩٩.

ثم إنه لم يزد. بين مصفات ابن زهر. كتابُ ألفه توصية من «أبي يوسف»... وذلك إن كان المقصود بأبي يوسف «علي بن يوسف». وأما إن كان الدكتور نوغايت بنقص الخليفة عبدالوالم. الذي ألف أبو مروان له «الترياق السحبي». فإن الخليفة كان يُكنى بـ «أبي محمد عبدالوالم». وليس بأبي يوسف. مع أن من خلفه بعد وفاته كان ولده «أبا يعقوب يوسف».

(٣١) «التيسير» : ٣٨١ و ٣٨٢.

وقد وردت ترجمة الكلمة إلى الفرنسية. في «حدود المصطلحات الطبية الواردة في الكتاب» : Pyoderme gangreneuse. وذلك يعني. في المصطلح الطبي العربي الحديث : **تَلْحَح غَنَرِي** (أو أكثري).

(٣٢) «طبقات الأطباء» : ٢ : ٦٧. و «الطبقة» هي العُلة لغة أهل العرب.

(٣٣) يعني : الجراحة.

(٣٤) «التيسير» : ٣٨٢.

(٣٥) «طبقات الأطباء» : ٢ : ٦٧.

(٣٦) «كتاب المجلس» : مقالات وبحوث فيه متفرقة.

وبلاحظ أن ابن أبي أصيبعة ذكر في «طبقاته». لدى ترجمته لابن زهر. أنه ألف للخليفة عبدالوالم «الترياق السحبي». واحتصره عشارياً واحتصره سباعياً. ويعرف بترياق الأثلة» (٢ : ٦٦). ومع ذلك لم يذكر هذا الكتاب بين ما عدد من كتبه... فهل هو أحد الكتب التي ذكر وقد اختلفت فيه التسمية؟

(٣٧) «التيسير» : ٣٢٦.

(٣٨) لدينا في الإعداد دراسة عن أدب الطبيب وأدب الطبل عند ابن زهر.